جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مواجهة السّياسة اللّغوية الاستعمارية

رزقي عبد القادر *

جامعة مولود معمري تيزي وزو، rezkiabdelkader88@gmail.com

مخبر الممارسات اللّغويّة بالجزائر

الإرسال: 2022/03/14 **القبول**: 2023/05/27 **النّشر**: 2023/12/10

الملخص:

عاشت الجزائر فترة الاستعمار الفرنسي التي دامت تقريبًا قرن ونصف وأصبحت مستوطنة للجزائر طوال تلك الفترة، فأثرت عليها تأثير سلبيًا في مختلف المجالات (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية)، مما أدى إلى تدهور الأوضاع المعيشة للسكان، فقد عملت فرنسا على محو كل المقومات الدينية والعلمية للأمة الجزائرية، وكانت تسعى جاهدة إلى فرض اللغة الفرنسية كلغة مستعملة في الميادين الرسمية للجزائريين، حتى يتمكنوا من نشر الثقافة الغربية والمعتقدات الدينية عبر المدارس الخاصة والقضاء على اللغة العربية. اعتمد المستعمر الفرنسي سياسة لغوية ناجعة عملت على تهميش وتحقير اللغة العربية التي هي لغة الدين الإسلامي والقرآن الكريم ولغة الثقافة الجزائرية. وكان ذلك بمنع تداولها في الإدارة والتعليم والصحافة... غير أنّ الشعب الجزائري سعى جاهدًا للدفاع عن الهوية الوطنية الجزائرية كالعلماء والمثقفين والجمعيات وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عملت على مواجهة السياسة الفرنسية من خلال المدارس والمساجد والصحافة...الخ

الكلمات المفاتيح: السّياسة اللغوية؛ الهوية؛ اللغة العربية؛ اللغة الفرنسية؛ اللسانيات الاجتماعية؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

* **المؤلف المرسل.**

Efforts of the Association of Algerian Muslim Scientists in the face of colonial language policy

Abstract:

Algeria lived through the period of French colonialism, which lasted for nearly a century and a half, and became a settlement of Algeria throughout that period, affecting it negatively in various fields (political, social, economic, cultural, and linguistic), which led to the deterioration of the living conditions of the population, as France worked to erase all religious and scientific components for Algerian people, and it sought to impose the French language as an official language for Algerians to spread Western culture and religious beliefs through private schools and eliminate the Arabic language.

The French colonizer adopted an effective linguistic policy that marginalized and demeaned the Arabic language, which is the language of the Islamic religion, the Holy Qur'an, and the language of Algerian culture, by preventing its circulation in administration, education, and the press... However, the Algerian people strived to defend the Algerian national identity in its various sects, such as intellectuals, Scientists, and associations, especially The Algerian Muslim Scientists Association, which worked to confront French politics through schools, mosques, the press, and others.

Key words: language policy; identity; Arabic language; French language; sociolinguistics; Algerian Muslim Scientists Association.

1- مقدّمة:

جاء الاستعمار الفرنسي للجزائر لتحقيق جملة من الأهداف المخططة لها من قبل، ذات أبعاد واتجاهات متعددة، أو بعبارة أخرى لم تُحتَل الجزائر من أجل هدف واحد، وإنّما لأهداف عدّة منها ما هو مباشر ومنها ما هو غير مباشرة، فالأهداف المباشرة تتمثل في الجوانب الاقتصادية والمادية بعد طمعها في ثروات الجزائر وخيراتها المتعدّدة كاستغلال

أراضيها وثرواتها لمصلحتها الخاصة، أمّا الأهداف غير المباشرة الخفية، فتتمثل في"**القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية ومن بينها اللغة العربية**"[1]، وذلك من أجل طمس الهوية والثقافة الجزائرية ومحو كل مقومات الجزائريين من دين ولغة وعادات وتقاليد. انتهج الاستعمار الفرنسي سياسة لغوية منذ احتلاله للجزائر، كفرض لغتها الفرنسية عوض اللغة العربية. و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تسعى جاهدة من خلال وضع مجموعة من المبادئ والأهداف من أجل مواجهة هذه السياسة الاستعمارية الفرنسية. فتدرس هذه القضايا المتعلقة بلغة المجتمع في مجال اللّسانيات الاجتماعية، وفق ظاهرة السياسة اللغوية وذلك نظرًا لبحثها عن العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع باعتبارها ظاهرة اجتماعية تحدث في إطار الجماعة. و نركز في مقالنا هذا على الحديث عن مسألة الهوية في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي وعن القضية اللّغوية كمقوم من مقومات الهوية الجزائرية. استنادًا إلى ما سبق ذكره، سنتطرق في دراستنا إلى الإجابة على الإشكالية التالية:

-ما هي ملامح السيّاسة اللّغوية الفرنسية ؟

-كيف واجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السّياسة اللّغوية الاستعمارية ؟

-ما هي الوسائل النّضالية التي استعملتها الجمعية في تنفيذ خطتها ؟

أهداف البحث:

نهدف من خلال بحثنا هذا إلى التعرف على مدى مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي والمواجهة للسياسة اللغوية التي انتهجتها فرنسا في فترة الاحتلال، من جهة ومن جهة أخرى التعرف عن نوع وملامح هذه السياسة اللغوية الفرنسية.

النتائج:

- انتهجت فرنسا سياسة لغوية قمعية ضد اللغة العربية.
- واجهت الجزائر تلك السياسة اللغوية من خلال اعتمادها على مختلف الوسائل النضالية منها: التعليم في المساجد والمدارس والنوادي، تدعيم العمل الصحفي...الخ

المنهج:

- ومن أجل التمكن من الإجابة عن الإشكالية المطروحة ارتأينا إلى اعتماد المنهج الوصفي التحليلي.

الفرضيات:

- فرنسا اعتمدت سياسة لغوية قمعية.

- جمعية العلماء المسلمين واجهت هذه السياسة.

2- مفهوم السياسة اللغوية: (Politique Linguistique)

إنّ اللّغة هي التي تحقق للفرد اجتماعيته وهي علامة من علامات رُقي المجتمع وتطوره، وعناية الأفراد بها دليل على إرادتهم على رفع مستوى لغتهم، وبالتالي يسعى المجتمع عامة والدولة خاصة إلى إيجاد آليات ووسائل لتنميتها وترقيتها، فالجزائر إبان الثورة تعرضت لسياسة استعمارية لغوية عملت على القضاء على اللغة العربية ونشر اللغة الفرنسية، فالسياسة اللغوية هي: "مصطلح لتعيين وتحديد مرحلة عملية التطوير اللغوي المجردة أو النظرية، والتي تكون بتشكيل وصياغة الأهداف، بعد تقييم الحالة التي تظهر الجوانب التي بالإمكان تحسينها، إما في جسم اللغة، أو في مكانة هذه اللغة"[2]، فتعني السياسة اللغوية تلك الإجراءات النظرية لخدمة اللغة بعد دراسة وتحليل مختلف جوانبها، من أجل تحسين مكانتها اللغوية ضمن اللغات الأخرى.

كما يعرفها "لويس جون كالفي" (Louis-Jean Calvet): على أنّها عبارة عن: "مجمل الخيارات الواعية المتّخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن. واتخاذ قرار بتعريب التعليم في المرحلة الجامعية يشكل خيارًا في السياسة اللغوية"[3]. نستشف من هنا أنّ السّياسة اللّغوية عبارة عن قوانين نظرية توضع من طرف هيئة خاصة هدفها خدمة اللغة، وبعبارة أخرى السّياسة اللّغوية هي تدابير تأخذ من أجل خدمة اللغة كحمايتها من الزوال وتوسيعها على أوسع نطاق...الخ، زيادة على ذلك يعرفها "بيار اتياف لابورت" (Pierre Etiav Laporte) أنّ "السياسة اللغوية بوصفها الإطار القانوني والتهيئة اللغوية كمجموعة الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة ما للغة من اللغات"[4]، فمن خلال التعاريف السابقة يتضح أنّ السياسة اللغوية عبارة عن قرارات ووثائق وخطط تُتّخذ من طرف الدولة حول اللغة وعلاقتها بالمجتمع. وهذا ما طبقته فرنسا أثناء احتلالها للجزائر من أجل تحطيم حضارة الشعب الجزائري، لذلك نجد أن "كل عرض لتاريخ الفرنسية يكشف، بالتوازي عن تاريخ صراعها ضد لغات أخرى الإيطالية سابقاً، والانجليزية اليوم، وذلك من أجل فرض نفسها كلغة شمولية عظمى تروم انتزاع حق في حكم العالم، والتأثير في سيره السياسي والثقافي"[5]، هذا ما حدث بالفعل في الجزائر فحاول المستعمر الفرنسي نشر اللغة الفرنسية والقضاء على اللغة العربية الفصحى في مختلف الميادين كالإدارة والتعليم والإعلام...الخ.

إنّ اللسانيات الاجتماعية كعلم مستقل بذاته يهتم بمثل هذه الظواهر المتمثلة في السّياسات اللّغوية الاستعمارية، في الكيفية والاستراتيجيات التي يتبعها المستعمر من أجل فرض لغته على الشعب المستعمرة، فعملت فرنسا على تعميم استعمال اللغة الفرنسية من خلال "فرنسة التعليم في جميع المراحل، فرنسة كاملة، في البرامج، والكتب، والنظم، ولغة التدريس، بغرض إبعاد اللغة العربية من كل معاهد التعليم الحكومي حتى تموت تدريجيا"[6]، هدف المستعمر الفرنسي هو منع اللغة العربية والسعي من أجل انقراضها في أوساط الشعب الجزائري، لأنّ اللغة "الفرنسية ليست مجرد لغة، بل هي أيضًا حاملة لثقافة معينة، ولذلك فإنّ الدفاع بعضهم عن اللغة هو أيضًا الدفاع عن الثقافة الغربية يريدون فرضها على شعوب المنطقة"[7]، هذا ما يبيّن لنا أنّ اللغة أساس الثقافة، وبالفعل هذا ما نجده في السياسة اللغوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر باعتبار اللغة العربية لغة الشعب الجزائري الحاملة لثقافتها، فحاول القضاء عليها وهذا ما يسميه "لويس جون كالفي" بغياب اللغة (Disparistion de la langue) الذي "هو موت اللغة، ويكون غيابًا بالاستبدال، أو غيابًا بالتحوّل، أو غيابا بالانقراض"[8]، ففي الجزائر حدثت بالفعل هذه الظاهرة اللسانية المتمثلة في الغياب بالاستبدال Disparistion par remplacement الذي هو"غياب لغةٍ تستبدل بها لغة أخرى، ويحدث في كل مرة تغيب فيها لغة مغلوبة تهيمن عليها لغة الغالبة"[9]، فاللغة العربية قد استبدلت بالفعل باللغة الفرنسية في الواقع اللغوي الجزائري، وذلك عن طريق السياسة اللغوية الاستعمارية الفرنسية، وهذا ما يسمى في مجال اللسانيات الاجتماعية باللغة الغالبة (Langue dominant)، فيقصد بها "اللغة التي تتفوق على غيرها في رقعة من الأرض من وجهة النظر الثقافية والسياسية"[10]، هذا يعني أنّ اللغة الغالبة تكون بسبب قوة وسيطرة الاستعمار الذي يسعى إلى نشر لغته، والقضاء على لغة البلد المستعمر خاصة في المجالات الرسمية من أجل القضاء على المقومات الشخصية وزوال الهوية من خلال اللغة.

3-العلاقة بين اللغة والهوية:

إنّ اللغة عبارة عن ميزة خاصة بالإنسان فبواسطتها يتوصل إلى التعبير عن أفكاره وتجسيدها في أرض الواقع فيعرفها "دي سوسير" (De saussure) على أنّها "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، ويحقق التواصل بينهم ويكتسبها الفرد سماعًا من جماعته"[11]، من هنا يبدو لنا أنّ اللغة حسب العالم اللغوي

"دي سوسير" هي عبارة عن أصوات لغوية يصدرها الإنسان تتواجد على شكل أفكار وتصورات داخل أذهان الأفراد، كما أنها ذات وظيفة اجتماعية نظرًا لدورها في التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع، وذلك عند الاحتكاك بينهم، فاللغة "رابط حيوي وبيولوجي ونفسي يربط الفرد بالمحيط، ويمنحه الاطمئنان النفسي والاجتماعي، والأمان في علاقته الخاصة والعامة مع الآخر، والتعبير عن الإرادة الطبيعية في حق الوجود، إنّ اللغة باختصار شرط إمكان وجود الإنسان"[12]. وعليه يتضح أنّ اللّغة أساس تواجد الإنسان في هذه الحياة باعتبارها الأداة الأساسية التي تمكنه من العيش وتحقيق غاياته. ويعرفها العالم "روى سي هجمان" (Roy si Ajman) على النحو الآتي: "اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"[13]، اللغة إذن عبارة عن قدرة يكتسبها الإنسان من طرف المجتمع الذي يعيش فيه، فمثلا إذا نشأ في مجتمع عربي يكتسب اللغة العربية، وإذا نشأ في المجتمع الأمازيغي يكتسب اللغة الأمازيغية ... وهكذا.

ونخلص من التعارف السابقة أن اللغة ظاهرة إنسانية، مرتبطة ارتباطًا وثيقا بالوجود الإنساني، فبواسطتها يعبر الفرد عن أفكاره، ويكتسب بواسطتها المعرفة ويبدع بها، ويتواصل مع غيره، كما أنّها وسيلة لتأسيس المجتمعات وتكوينها.

بالإضافة إلى ذلك نجد أنّ اللغة تعتبر مقومًا من مقومات الهوية، فالهوية "كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضافًا إليه ياء النسبة، للدلالة على السمات المميزة لشخص أو مجتمع أو أمّة من الأمم"[14]، والهوية هي الأداة الحاملة لمكونات الفرد التي تساهم في الحفاظ على شخصيته وأصوله، فهي "مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لشعب من الشعوب"[15]، فالهوية تجعل الفرد يتميز عن غيره، من خلال هذه المكونات الآتية:[16]

- **الدين:** يعتبر الدين من عوامل التي تشكل الهوية عند الفرد فـ"انتساب الأفراد إلى ديانة واحدة من العوامل التي تجعلهم يشعرون بأنّهم مشتركون في هوية جماعية واحدة "[17]، وعلى سبيل المثال نجد الفرد الجزائري يشعر بالانتماء إلى الهوية الجزائرية، باعتباره مسلم يؤمن بالدين الإسلامي ويستعمل اللغة العربية.
- **الثقافة:** وهي هنا بمعنى أسلوب الحياة وطريقة العيش، والعادات والتقاليد والعرف.

فنجد في هذا السياق المفكر الفرنسي "أليكس ميكشللي" (Alex Michelle) يقول فيما يخص تعريف الهوية على أنّها "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، التي تتميز بوحدتها، وتنطوي على خاصية الإحساس بالجماعة والشعور بها، وهي – الهوية- وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة"[18]، فالهوية تخلق نوعًا من الشعور الداخلي لدى الفرد بأنّه ينتمي إلى جماعة معينة وهذا الشعور يجعله ضمن هذه الجماعة مدى الحياة إضافة إلى ما سبق نجد كذلك أنّ الهوية "نتاج معاني والقيم التي يُشيدها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص بمجتمع من المجتمعات ناتجٌ من تفاعل ما يسري بداخله من خطابات لغوية مرتهنة بالتغيرات التاريخية"[19]، ومن ثمة نرى أنّ هناك علاقة وطيدة بين اللغة والهوية، فاللغة تحمل في داخلها مجموعة من الأفكار والتجاريب....الخ.

فموضوع العلاقة بين الهوية واللغة إذن، من أهم مواضيع اللّسانيات الاجتماعية، ولا يمكن الحديث عن الهوية دون الحديث عن اللغة، وبالتالي العلاقة بين اللغة والهوية هي "علاقة جدلية تفاعلية إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب، ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد، ولا شأنًا من شؤون العلم والثقافة والتدريس، لكنّها شأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي"[20]، نستشف من هنا أنّ هنا علاقة وطيدة بين اللغة والهوية وذلك باعتبار اللغة المقوم الأساسي للحفاظ على الهوية الوطنية لبلد ما، وبالتالي لا يمكن الفصل بين اللغة والهوية، فاللغة والهوية وجهان لعملة واحدة، فـ"الترابط بين اللغة والهوية هو دائما ترابط قوي بحيث إن سمة واحدة لاستعمال اللغة تكفي لتعيين علاقة شخص ما بجماعة ما"[21]، وعليه يظهر لنا أنّ الفرد بمجرد نطقه بلغة ما يظهر انتماؤه وهويته، فاللغة تعبير عن أفكاره وهويته معًا.

نستنتج أنّ فقدان اللغة يؤدي إلى فقدان الهوية والعكس صحيح، فكل عنصر يستلزم الآخر، "باعتبار أنّ اللغة هي أساس الهوية، وروح القومية في كل شعب، ولا زوال لأي شعب إذا بقي متمسكًا بلغته، كما لا بقاء له كشعب موحد الهوية والكيان، إذ زالت لغته القومية في حياته اليومية، فاللغة هي الجنسية، واللغة هي الهوية"[22]، الهوية إذن هي الجسد بينما اللغة هي الروح فلا وجود للهوية دون اللغة؛ أي أن اللغة تستند على الهوية، وبعبارة أخرى اللغة هي التي تجسد الهوية على أرضية الواقع، وتشعر الفرد بانتمائه وحريته واستقلاليته.

4- سياسة فرنسا الرامية إلى القضاء على شخصية الفرد الجزائري:

إنّ الشخصية هي مجموعة من الصفات المختلفة المتنوعة التي يتصف بها الفرد فهي عبارة عن مشاعر تنتجها مكونات ثلاثة وهي: اللغة والدين والثقافة، فتجعل الفرد مختلف عن غيره، والفرد الجزائري ذو شخصية قوية متمسك بقيمه، ولكن المستعمر الفرنسي حاول تحطيمها من خلال سياساته الاستعمارية فقد "بسط نفوذه على الجزائر فحارب اللغة العربية والثقافة العربية، كما حارب الشخصية الجزائرية حربًا لا هوادة فيها"[23]، وفي غضون ذلك قد "شرعت فرنسا منذ السنوات الأولى من الاحتلال، في محو الثقافة العربية ... قصد استكمال غزوها للبلاد"[24]، وذلك من خلال سياستها التي مست المقومات الأساسية لهذه الشخصية والتي تتمثل فيما يأتي:

1-4 سياسة فرنسا ضد الثقافة الجزائرية:

إنّ الثقافة "بمعناها الواسع هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعًا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب، وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وأنّ الثقافة هي التي تمنح للإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منه كائنات تتميز بالإنسانية"[25]، فالثقافة إذن تجعل الفرد يتميز عن فرد آخر، والمجتمع يختلف عن مجتمع آخر لاختلافه في العادات والتقاليد والدين واللغة والنظم الاجتماعية، فاللغة هي الناطق الرسمي للثقافة وأساس المجتمع، لذا سعى المستعمر الفرنسي إلى القضاء على هذه الثقافة الجزائرية، ومسح عادات وتقاليد الشعب الجزائري فكان يهدف إلى "قطع صلة المواطن الجزائري بأصله وتراثه، أو على الأقل إضعاف هذه الصلة لدرجة أن ينعدم تأثيرها"[26]، وليحقق هذا الهدف عمل على تطبيق ما يلي على أرض الواقع[27]:

- استولى المستعمر على معظم معاهد الثقافة والعلم التي كانت موجودة في الجزائر قبل الاحتلال، وحولتها إلى ثكنات لجيش الاحتلال، أو دكاكين، وإلى معاهد للتعليم والثقافة الفرنسية.
- طرد الثقافة العربية من المدن الكبرى بعد أن استولت على معاهدها ومنعت تدريسها لأبناء الجزائر في المدارس والمعاهد الحديثة.
- عمل على إحلال الثقافة الفرنسية المسيحية محل الثقافة العربية الإسلامية بهدف فرنسة الجزائريين، وتدمير عقيدتهم الدينية.

- استولى على الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم برعاية الثقافة العربية الإسلامية في البلاد، وتصرف على شؤون التعليم في سائر مراحله وبالتالي انهارت هذه الثقافة بشكل كبير بعد أن حرمت من الموارد الأساسية الذي تعيش فيه.

- حاول فصل المناطق التي يسكنها الأمازيغ (البربر) عن بقية الوطن الجزائري ومنعت تدريس الثقافة العربية الإسلامية لهم وعوّضتها بتدريس الثقافة الفرنسية، وحضارتها، بقصد فرنستهم وبالتالي القضاء على شخصيتهم الوطنية.

يتضح من خلال ما سبق أنّ سياسة فرنسا الثقافية عملت على محو الثقافة الجزائرية نظرًا لإستراتيجياتها التي اعتمدتها في مختلف المجالات، والمؤسسات من مدارس ودور الثقافة، والمساجد...الخ إلى جانب مختلف الأنشطة الثقافية. ويقول "مالك حدّاد" في هذا الصدد: "أشعر أنّي منفي بأفكاري وأحاسيسي العربية، في الثقافة اللغة الفرنسية"[28]، فهذا ما هو إلاّ دليل على دور الثقافة في الحفاظ على الانتماء والشعور القومي، ففرنسا حاولت القضاء على الثقافة العربية ونشر ثقافتها لضمان بقائها في الجزائر فنشأت أجيال جديدة بتفكير فرنسي.

1-4 سياسة فرنسا للقضاء على الدين الإسلامي:

أدركت فرنسا أهمية الجانب الروحي والنفسي لدى الفرد ودوره في تشكيل روح النضال والمقاومة التي تنتج عن الغيرة تجاه الوطن، فقد ركّزت في هذا السياق على عنصر مهم للغاية يساهم في تكوين الشخصية الجزائرية ألا وهو الدين الذي يعني "مجموعة من القواعد الضابطة لسلوك الفرد مع نفسه ومع الجماعة البشرية التي ينتمي إليها، ... فهي تتطلب بالضرورة الاستعمال اللغوي في الدعوة لها وفي ممارسة طقوسها وشعائرها، بل في اعتناقها"[29]، فالدين الإسلامي هو دين الشعب الجزائري منذ القدم، فيعتمد الشعب على اللغة العربية الفصيحة في أداء الشعائر المختلفة كالأعياد، والمناسبات الرسمية، الصلوات، المدائح...الخ، وعمل المستعمر على طمس اللغة العربية التي تؤدي حتمًا إلى زوال الدين الإسلامي ونشر الدين المسيحي من خلال "الاستيلاء على المساجد وتهديمها وتحويلها إلى كنائس، ... وإقامة القداسات وصلوات الشكر، والحفر على بقايا المسيحية... وكل ذلك وغيره صورة لما كان يحمله الفرنسيون في الجزائر من نوايا ومشاريع دينية"[30]، فالتخريب والتهديم للمساجد التي يتعلم فيها الجزائريون تعاليم الدين الإسلامي بواسطة اللغة العربية الفصيحة، يؤدي إلى زوال اللغة وكذلك زوال الدين، وهدم نفسية الفرد الجزائري، وهذا كله من أجل مواصلة سياسته في محو شخصية الفرد من خلال سياسة التنصير التي تعني "محاولة

إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم كي يصبحوا مسحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر، حتى ينهار مقوم آخر من مقومات الشخصية الجزائرية وهو الإسلام"[31]، سياسة التنصير إذن ما هي إلا إستراتيجية أخرى من الاستراتيجيات التي اتبعتها فرنسا في محاولة إخراج المجتمع الجزائري من دينه وإغرائه من أجل دخوله في الدين المسيحي، ذلك من أجل طمس هوية الشخصية الجزائرية والقضاء عليها في سائر مجالات الحياة.

دون أن يفوتنا الحديث عن مختلف الاستراتيجيات التي وضعت من طرف المستعمر من أجل القضاء على الدين الإسلامي فكانت السياسة الفرنسية الاستعمارية تبذل كل مجهوداتها في تنصير المجتمع الجزائري، ومن بين تلك الأساليب الممنهجة ما يأتي: [32]

- استولت فرنسا على الأوقاف الإسلامية بعد أشهر قليلة فقط من الاحتلال وقد كانت الأوقاف هي التي تقوم بشؤون المساجد، والجوامع، والتعليم الديني. وبذلك حرمت هذه المؤسسات من الموارد الوحيد الذي تعتمد عليه في أداء رسالتها الإسلامية على وجه المطلوب.
- فتحت أبواب الجزائر على مصراعيها في وجه الهيئات التبشيرية من مختلف دول العالم بقصد تنصير الجزائريين والقضاء على الإسلام، وباركت نشاطهم وأيدتهم ماديًا وإداريًا.
- حوّلت فرنسا عددًا كبيرًا من المساجد في مختلف المدن الجزائرية إلى كنائس للمسيحيين أو بيع لليهود نكاية في الدين الإسلامي ومحاولة للقضاء عليه بالقضاء على مقدساته.
- أخضعت المؤسسات الإسلامية (مساجد، قضاء شرعي، مواسم إسلامية...) لإشرافها المباشر وعملت على تسخير رجال الدين للعمل كجواسيس للإدارة مما يتنافى مع مكانتهم الدينية.
- طبقت قانون فصل الدين عن الدولة الذي صدر في فرنسا سنة 1905م والمطبق في الجزائر بمقتضى مرسوم سنة 1907م، على الدين اليهودي والدين المسيحي فقط، ورفضت تطبيقه على الدين الإسلامي ومعابده كي يبقى تحت سيطرتها مباشرة.

بناءً على ما سبق، يظهر لنا أنّ فرنسا سعت إلى القضاء على الدين الإسلامي وذلك من خلال سياسة التنصير، من أجل نشر الدين المسيحي بين الجزائريين وتكوين نخبة مسيحية داخل المجتمع الجزائري. للارتباط الوثيق بين الدين واللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن الكريم، وبالتالي إذن الدين الإسلامي عبارة عن مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية.

3-4 السياسة اللّغوية في الجزائر أثناء الاحتلال:

يشهد التاريخ الجزائري أنّ اللغة العربية هي أداة من الأدوات الثقافية والشخصية الجزائرية، لكن الاستعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على هذه اللغة الأصلية عن طريق سياساته الاستبدادية المجسدة في محاولته على هيمنة اللغة الفرنسية والقضاء عن اللغة العربية، وبالتالي قداعتمدت السلطات الفرنسية عدّة أساليب متنوعة عملت على تغليب اللغة الفرنسية على اللغة العربية من أجل القضاء على الشخصية الوطنية للفرد الجزائري بعدما أدرك المستعمر أنّ للغة دورًا بارزًا في سلب الهوية، والقضاء على اللغة الأصلية يؤدي حتما إلى القضاء على الهوية، "فجعلت الفرنسية، أو إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية (أي لغة المجتمع المستعمر في محل لغة المجتمع المستعمر)، بدءًا بالمصالح والإدارات وانتهاء بالشارع والمجتمع العام"[33]، من هنا يظهر لنا أنّ فرنسا عملت على جعل اللغة الفرنسية لغة الاستعمال اليومي بين الجزائريين، بعد انتشارها في الإدارات والمدارس وذلك بعد تطبيقها لسياسة اللغوية الاستعمارية التي تعني "إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها، محل اللغة العربية وثقافتها، حتى يتسنى للجزائريين —بمرور الزمن- لغتهم وثقافتهم القومية ويستعصوا عنها باللغة والثقافة الفرنسية"[34].

فكانت اللغة العربية الهدف الأساسي للمستعمر الفرنسي منذ دخوله لأرض الوطن بعد رسمه للخطة تدعيم اللغة الفرنسية واستعمالها "فأراد أن يمحو الشخصية الوطنية ويعزلها عم أصولها فنجد كل الطاقات لتشويه ماضي الجزائر التليد وطمس معالمه، والعمل على تجريد الشعب من كل مقوماته الأساسية، فحارب اللغة العربية لأنّها العامل الموحد والمحرر، ولأنّها أيضًا السلاح الفكري الفعال في ميدان الصراع بين الأصالة الراسخة من جهة، وبين عمليات المسخ التي قام بها الاستعمار من جهة ثانية"[35]. هذه إذن هي السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر والتي مسّت مختلف المجالات الرسمية للشعب الجزائرية وذلك كله من أجل محو اللغة العربية ونشر اللغة الفرنسية ليصبح المجتمع الجزائري مجتمع ذو ثقافة ولغة وتفكير فرنسي بحت.

5- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

5-1 : تأسيسها:

إنّ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية المضطربة التي عاشتها الجزائر أثناء الثورة التحريرية حتّمت على الجزائريين أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي، وعليهم أن يفكروا في تغير تلك

الأوضاع، فحاولوا مقاومة السياسة اللغوية الاستعمارية، ولقد كانت المبادئ الأولى والأساسية للثورة الجزائرية هي المحافظة على الشخصية الجزائرية ومكوناتها الأساسية، وبالتالي الشعب الجزائري يحارب السياسة اللغوية الفرنسية من أجل الحفاظ على لغته الأصلية بعدما أدرك أنّها "قد أدت السياسة الفرنسية الرامية إلى مسح الشخصية الجزائرية إلى ردود فعل عنيفة قوية نابعة من الضمير الاجتماعي للشعب الجزائري العربي المسلم"[36]، فقد اتّجه الشعب إلى تأسيس وتشكيل جمعيات عديدة ذات أهداف ومهام متنوعة، وأبرزها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تميزت بنوع من التنظيم المحكم لاعتمادها على كل الطبقات الاجتماعية من ناحية، ومن ناحية أخرى ركزت على مقومات الشعب الجزائري خاصة اللغة العربية والدين الإسلامي كنقطة انطلاق منذ تأسيسها، وقبل التطرق إلى أهدافها يستوجب علينا أن نشير إلى ظروف نشأتها.

2-5 ظروف نشأنها:

إنّ ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر لم تكن وليدة الصدفة، وإنّما وليدة ظروف عديدة أهمها: الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المزرية التي خلّفها المستعمر الفرنسي من خلال تطبيقه لسياسته الاستعمارية، خاصة اللغوية في المجتمع الجزائري، فكلها عوامل حتمية إجبارية لتأسيسها سنة 1931م، على يد مجموعة من العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم "عبد الحميد بن باديس" تحت شعار "الإسلام ديني والجزائر وطني"، حتى وفاته ليحل محلّه "البشير الإبراهيمي" عام 1940م. فقد "تولى تكوينها وقيادتها مجموعة من العلماء الجزائر ينتمي معظمهم إلى مدرسة التجديد الإسلامي السلفية، وهم جميعًا ممن لهم ماضٍ مشهود في خدمة الجزائر، والعروبة، والإسلام، والسلفية"[37]، يبدو لنا من خلال ما سبق ذكره أنّ جمعية العلماء المسلمون الجزائريون جمعية تأسست على يد كبار علماء الجزائر في مجال الدين واللغة والثقافة، التي تأسس مكونات شخصية الفرد الجزائري، من أجل الحفاظ عليهما من الزوال لأن المستعمر الفرنسي كان هدفه الأول هو القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية، وبالتالي نشأت كرد فعل على الأوضاع المتدهورة في الواقع اللّغوي والثقافي الجزائري.

3-5 غاياتها وأهدافها:

ليس من البديهي أنّ من أبرز أهداف هذه الجمعية محاولتها لإنقاذ الشخصية الجزائرية الضائعة في الحضارة الفرنسية وبعدما أصبح الفرد الجزائري يتخبط بين حضارتان

متعاكستان، فالروح الوطنية للشعب الجزائري عامة وعلمائها خاصة هو سبب في تأسيس هذه الجمعية ردًّا على الهيمنة الاستعمارية الفرنسية اللغوية والثقافية، وكان مبدؤها الأساسي: هو "عروبة الشعب الجزائري وأنّه جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وأنّ الجزائر قطعة من الوطن العربي الأكبر، ولأنّ الشعب الجزائري عربي مسلم إلى العروبة ينتسب"[38]، فهذه الجمعية قد ركزت على ضرورة المحافظة على أصالة الشخصية الجزائرية ومكوناتها الأساسية وذلك بعد أن "أدرك الجزائريون ضرورة حذف لغة المستعمر وتملكها وتمثل طريقة تفكيره كي يوفقوا في مجابهة النظام الاستعماري وظلمه"[39]. وبالتالي قد عملت الجمعية جاهدة على الحفاظ على اللغة العربية التي هي في خطر بسب وقوعها بين أيدي المستعمر الفرنسي المهيمن في مختلف المجالات الرسمية للشعب الجزائري كالتعليم والإدارة والإعلام....الخ وانتشار استعمال اللغة الفرنسية في الواقع الجزائري، وبالتالي قد "أسست من أجل تحقيق هدف تتطلبه ظروف الجزائر، وأوضاعها السياسية، والثقافية، والاجتماعية، وهو تعليم الدين، واللغة العربية، وبعث الثقافة الإسلامية في البلاد، والمحافظة على مقومات الشخصية القومية للجزائر"[40]، بناءً عليه يتضح لنا أنّ هذه الجمعية تأسست من أجل الدفاع عن الجزائر من الناحية السياسية، ومن الناحية الثقافية التي سعت فرنسا إلى مسحها وزرع ثقافتها، فالأهداف التي ترمي إليها تتمثل فيما يلي[41]:

- تطهير الدين الإسلامي مما لحق به من خرفات، وبدع، في عصور التأخر التي اعترت المسلمين لعدة قرون.
- إحياء اللغة العربية، وثقافتها، والعمل على نشرها في البلاد بعد أن عمل الاحتلال على طمسها ودفن حضارتها لأكثر من قرن من الزمن.
- العمل بطريق خفي تحت ستار تعليم الدين، والوعظ، والإرشاد، على القضاء على سياسة الفرنسية، والتنصير، والتجنيس، والإدماج التي يسير عليها الاحتلال في الجزائر.
- العمل من أجل استقلال الجزائر وضمها إلى الأسرة العربية الكبرى.
- المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الثقافية، والحضارية، والدينية، والتاريخية، والوطنية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها.

تعتبر هذه الأهداف أهدافًا مبرمجة بإستراتيجية محكمة، وذلك من أجل إصلاح أوضاع الجزائر الثقافية، والاجتماعية، والسياسة، والحفاظ الشعب الجزائري على الصبغة الدينية الإسلامية والعروبة (اللغة العربية)، والقضاء على الغزو العسكري والثقافي واللغوي

بالخصوص باعتبار الشعب الجزائري "شعب يرفض القمع ويحمل السلاح في النهاية ضد الوجود السياسي والاقتصادي الفرنسي"[42]، وذلك من أجل أن يعيش الفرد الجزائري حرًا في بلاده محافظًا على ثقافته، ولغته، ودينه وأصالته الجزائرية. فهي جمعية إصلاحية تأسست لهدف أساسي وهو حماية الشخصية الجزائرية من الزوال والانقراض من خلال حماية اللغة العربية الفصحى والدين الإسلامي من المستعمر الفرنسي ومن ثم تحرير الأمة الجزائرية من الهيمنة الاستعمارية.

6- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل تحقيق أهدافها المسطرة ومختلف وسائلها النّضالية:

استطاعت جمعية العلماء المسلمين بقيادة "عبد الحميد ابن باديس" مواجهة تلك السّياسة اللغوية الاستعمارية من خلال تكوين أفراد مسلمين متشبعين بالثقافة الإسلامية ينطق بلسان عربي فصيح، حيث انصرفت جهود علماء الجمعية إلى تناول الظاهرة اللّغوية في الجزائر وتدارس أبعادها الاجتماعية والسّياسية والثقافية على المجتمع والبلاد، سعياً لتحقيق التكامل بين الأجيال الماضية واللاّحقة، وجمع المواطنين على كلمة واحدة وتوجّه وتفكير واحد وهدف مشترك. وعلى هذا الأساس فقد واجهت الجمعية ممثلة في أعضائها القوانين الاستعمارية الهادفة للقضاء على اللغة العربية خاصة ما تعلق بقوانين الأهالي سنة 1871م، والتشريع المدرسي الجديد في 1883م، وكذا قانون 19 مارس 1900م والتي هدفت كلها إلى محو اللغة العربية من المجتمع الجزائري وطمس أبعادها الثقافية والاجتماعية من خلال الترويج للهجات المحلية كالأمازيغية بدلا من اللغة العربية، كما تم التخطيط لأبعد من ذلك لتصل السياسة المذكورة إلى الصعيد الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي، فقد تم منع المساجد وتضييق الشعائر الدينية، والسعي إلى زعزعة الفكر الاستقلالي التحرّري بين أبناء الوطن بزرع الفتن بين الإصلاحيين والثوريين، بإدماج الفكر الشيوعي في الأذهان. وعلى هذا الأساس، وإدراكاً من جمعية العلماء المسلمين بضعف التعليم في الجزائر، فقد اعتمدت على الطريقة التقليدية في التدريس من خلال المساجد والكتاتيب، حيث يعتبر هذا التفكير والمجهود طريق ووسيلة نحو محاربة تعميم اللغة الفرنسية.

وفي هذا الإطار،كانت لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، جهود عظيمة في الحفاظ على الهوّية الجزائرية دينًا ولغة وعرفًا، حيث كانت تنظر إلى اللغة على أساس أنها

كائن ينمو ويتطور ويتقهقر؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وتتطور وتتغير بفعل الاستخدام وعوامل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير[43].

فقد ساهمت الجمعية في بناء المدارس والمساجد، وإرسال البعثات التعليمية إلى المشرق العربي لتعليم أبناء الشعب في الجامعات، فكان عملها متواصلا ونشاطها مستمرا في العناية بالتعليم العربي والإسلامي، وهو ما كان سنداً استمدّ منه الجزائريون القوة والعزيمة لقهر العدو الفرنسي الغاصب، وساقته إلى الهزائم.[44]، فمن بين تلك الوسائل النّضالية المستعملة من طرف الجمعية نذكر ما يلي:

6-1 التعليم في المساجد والزوايا:

إنّ المساجد من بين أبرز الأماكن المقدسة لدى الشعب الجزائري، وهو مركز الثقافة الدينية الإسلامية، ولهذا جعلت الجمعية هذا المكان ذا أولوية كبيرة في أعمالها الجليلة، خاصة بعد تقهقر اللغة العربية كثيرا وتأثرها بالسياسات الاستعمارية المذكورة، حيث تم تضييق على كل من تمسّك وتكلّم، وكانت تسلّط عليهم العقوبات، وهو نفسه ما كانت تعانيه المساجد والزّوايا التي تعلّم اللّغة العربية، وكان هذا من بين الأسباب التي دفعت رجال جمعيّة العلماء المسلمين للسعي لتطوير كل من الحياة الفكرية والثقافية وتنمية الوعي الشعبي، والحفاظ على الهوّية في العقول، ولعلّ المساجد من أهم نقاط الانطلاق لترسيم خطط الجمعية، فقد أولت اهتماما كبيرًا للتعلّيم القرآني في المساجد والكتاتيب، وهو ما جاء في بنود قانونها في المادّة 77 منه والذي ينص على: "تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدريج في أهم مراكز القطر، ويحتوي برنامجها على تعليم الخط العربي والنحو والصرف وحفظ القرآن مع تفهيم مفرداته وضروريات الدين والأخلاق الإسلامية، وتختار من كتب التعليم أقربها للإفادة، وتأخذ الأساتذة بتنفيذ ذلك البرنامج على وجه الدقّة"[45].

فقد تنبّهت الجمعية باكرًا إلى خطر استبدال اللّغة العربية باللغة الفرنسية، إذ عرفوا جيدا أنّ لغة الأمّة هي الهدف الأوّل للمستعمر الفرنسي "فلن يتحول الشعب أوّل ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التّحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللّغة نسب للعاطفة والكفرة حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثّاني على أخرى، والثّالث على لغة ثالثة، لكانوا في

العاطفة كأبناء ثلاثة آباء".[46] ولعلّ المساجد من أبرز الميادين ملائمة لنشر اللّغة العربية والدّفاع عنها، كونها أصيلة في عقيدة الشعب الجزائري.

يتبيّن مما سبق دور المسجد في تجسيد فكرة الإصلاح التي تبنتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فالمسجد قبلة الصغار والكبار، المتعلمين والأميين، وبذلك فهو اللبنة الأولى لنشر التعاليم السمحة الصحيحة للدين الإسلامي ومركز إشعاع لمختلف الأفكار الإصلاحية التربوية التهذيبية.

2-6 تكوين الشباب في المدارس والمعاهد والجمعيات الثقافية:

إلى جانب المسجد الذي يربي ويوعي المجتمع، نجد كذلك المدارس والمعاهد التي لا تقل أهمية في التوعية والتربية والتعليم والتكوين والقضاء على الجهل، فنجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد استوعبت أهميتها في فترة الاحتلال الفرنسي الغاشم، فاتخذتها كرد فعل لمختلف المدارس التي أسستها فرنسا من أجل نشر لغتها وثقافتها، إذ جاء بناء المدارس والمعاهد استجابة طبيعية لحاجة ملحّة عند أبناء الشعب الجزائري، فقد زاد النمو الديمغرافي ولم يكتف التلاميذ بالتعليم الابتدائي فقط، وهو ما شغل أعضاء الجمعية وحيّر بالهم، وقادهم الأمر إلى فكرة بناء معهد في مدينة قسنطينة، "معهد ابن باديس للطور الثاني" سنة 1947م لمواصلة طلب العلم، فقد كان "ابن باديس" يخطط لتكوين ما أسماه "بجامعة شعبية" لتكون نواة لاستقبال الذين أنهوا دراستهم الابتدائية والمتوسطة، وبعدها يتم إرسال المتفوقين للمشرق لإكمال تعليمهم العالي، وهذا بعد بناء عدة مدارس في مختلف بقاع الوطن للتعليم الابتدائي والمتوسط، والتي بلغت 150 مدرسة ابتدائية تضمّ 50.000 بين البنات والبنين، يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وعلوم الدين وعلوم الحياة العامة[47].

كما أنشأت الجمعية لجنة عليا للتعليم، تعنى بالإشراف التربوي في مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث نظمت تفتيشا صارمًا موزعًا على جميع أنحاء الوطن، فبعد أن كثرت المدارس نظمت الجمعية التفتيش الجهوي وأوكلت تنفيذه إلى كبار المديرين الجهويين الأكفاء.[48] ودومًا في نفس الإطار، فقد تم بعثات علميّة إلى كبرى الجامعات في المشرق العربي وتونس، تحت كفالة الجمعية وتموينها، وكانت البداية بأوّل بعثة أرسلتها إلى مصر، في عام 1951م، وقد ضمت حوالي25 طالب وطالبة، توزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب ودار العلوم، والكليات الأزهرية وبعض الثّانويات في القاهرة.[49]

وعليه يمكننا القول إنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اعتمدت على المدارس والمعاهد بشكل خاص لما لها من أهمية في تحرير الشعب من الأميّة والجهل وإيصال الأفكار الإصلاحية ونشر الوعي وإيقاظ النفوس وإعداد جيل واع قادر على استلام المشعل والمضي قدمًا نحو الاستقلال.

3-6 تفعيل دور العمل الصحافي من خلال المجالات والجرائد:

تعتبر الصحافة من بين وسائل الإعلام العامة، فهي تكتسي أهمية كبيرة في حياة الفرد وذلك نظرًا للدور الذي تؤديه في المجتمع، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد اعتمدت عليها من أجل نشر أفكارهم الإصلاحية وأهدافها التي من أجلها تأسست، وأهمها مواجهة الحملة الاستعمارية الفرنسية، وقد كان "ابن باديس" ورجاله داخل الجمعية وراء كل الصحف الإصلاحية التي صدرت على مدار خمس عشرة سنة منذ 1925 م إلى 1940م، حيث كُلما سقطت صحيفة بفعل الممارسات القمعية الاستعمارية، أصدرت صحيفة جديدة، ولعلّ صحيفة "البصائر" أهم هذه الصحف وأكثرها تأثيرًا في الساحة الصحافية الجزائرية عامة.

حيث أصدرت الجمعية سنة 1933م الصحيفة الأسبوعية "السنة النبوية"، برئاسة "ابن باديس"، لتكون معبرة عن أحوال الجمعية، لكن سرعان ما أوقفتها السلطات الفرنسية بعد أشهر من إصدارها. وبعد أسبوع من إيقافها أصدرت الجمعية صحيفة "الشريعة المحمدية" مكانها، وتم إيقافها أيضاً بعد شهر ونصف. وتلتها جريدة "الصراط السوي" غير أنه تم تعطيلها أيضا بعد عدة أشهر وهذا بداية سنة 1934م. وبعد سنتين عادت الجمعية بمجلة "البصائر الأسبوعية". وكانت مختلف صحف الجمعية المشار إليها وغيرها، تعالج مختلف القضايا السياسية والدينية ذات العلاقة بالوضع آنذاك، وتهتم بنشر العقيدة الإسلامية السمحة ومحاربة البدع والخرافات وإصلاح التعليم.

كما صدر عام 1925م أول عدد من جريدة "المنتقد" لصاحبها "الشيخ عبد الحميد ابن باديس"، وكان الهدف منها تسليط الضوء على أخطار المستعمر ومحاربة بدع وضلالات رجال الطرق الصوفية التي خدّرت المجتمع الجزائري وانحرفت به عن منهج الإسلام الصحيح، فصدر أول عدد منها بمدينة قسنطينة تحت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء".[50]

وبالعودة إلى جريدة البصائر، إذ صدر العدد الأول منها بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 27 ديسمبر 1935م وكان رئيس تحريرها "الشيخ الطيب العقبي"[51]، وبعدها تم إصدارها في قسنطينة ابتداء من العدد 84 الذي صدر يوم الجمعة 29 أكتوبر1937م تحت رئاسة "الشيخ مبارك الميلي"، وقد كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد صدر منها حوالي 180 عدد خلال أربع سنوات، كما أشرف عليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابتداء من سنة 1947م إلى سنة 1956م، حيث عرفت تطورا كبيرًا من حيث الإصدار والانتشار، وتغطية الأحداث، والدفاع عن المقوّمات والمبادئ والقيم.[52]

يظهر لنا جليًا من خلال ما سبق ذكره أهمية الصحافة في نهج جمعية العلماء المسلمين، حيث اعتبرتها الجمعية من أهم الوسائل النضالية الهامة والمجسدة لفكرة الإصلاح كون العمل الصحافي يحمل راية تحرير الفكر ونشر الوعي، فعملت جاهدة على الحفاظ على اللغة العربية من الزوال والدين الإسلامي من البدع والخرفات، كلها بهدف إحياء الشخصية الوطنية الجزائرية ذات البعد الإسلامي، كما كان للصحافة دور في محاربة السياسة الفرنسية المتعلقة بتجنيس الجزائريين وفرنستهم.

4-6 تأسيس وتدعيم دُور الثقافة والنوادي:

إنّ لفئة الشباب دورًا كبيرًا في المجتمع، خاصة في فترة الاحتلال نظرًا للأهميته البارزة في نشر الوعي والتصدي للمستعمر، وعليه نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد خصصت لهذه الفئة مكانة هامة من خلال إصلاحاتها، وجعلتها ضمن أولوياتها، فاهتمت بها من خلال إنشاء منظمات أو جمعيات شبابية في مختلف النشاطات الدينية والثقافية والفنية. ويعتبر مشروع النوادي إحدى أهم هذه الوسائل النضالية لنشر الوعي وتبادل الأفكار وتناول مختلف المواضيع المتعلقة بالمستجدات وتشاركها، وفي هذا الصدد أنشأت جمعية العلماء في كثير من المدن والقرى النوادي التي تهتم بالتهذيب والتربية الإسلامية ومختلف النشاطات بلغت حوالي ثمانين ناديًا، قصد تغطية نشاطات الجمعية على نطاق واسع وبلوغ دعوتها بواسطة هذه النوادي إلى الشباب، كما أنها فرصة لاستقطاب هؤلاء الشباب من المقاهي وغيرها من الفضاءات التي تسيطر عليها القوات الفرنسية وتنشر فيها أفكارها الخبيثة.[53]

كما امتدت فكرة النوادي إلى الخارج، فقد اعتنت الجمعية بالجالية الجزائرية في فرنسا وأنشأت لهم عشرات النوادي، وأرسلت معلمين ليدرسوهم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي الصحيح. ومن بين أهم نوادي جمعية العلماء المسلمين، "نادي الترقي" الذي تأسس سنة 1927م ، حيث كان مقرًا للجمعية، وكذلك نادي "الاتحاد" ونادي "السعادة" ونادي "الإرشاد" وغيرها[54].

من خلال ما سبق يبدو أن تركيز جمعية العلماء المسلمين على النوادي نظرًا لإعتبارها جسر رابط بين الأجداد والأبناء وهو ما يتيح تناول مختلف القضايا الفكرية والمصيرية وتبادل الآراء وتهذيب الشبان إضافة إلى مشاركتهم في مختلف الأنشطة الثقافية، وتعتبر النوادي من خلال هذا السياق تكملة وتتمة لدور المدارس والمساجد لمختلف نشاطاتها.

7- الخاتمة:

من خلال ما عرضناه في هذه الورقة العلمية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نعرضها كالآتي:

- تعتبر اللّسانيات الاجتماعية علم مستقل بذاته نظرًا لأدواته الإجرائية التي تتمتع بها، فتهتم بالسياسات اللّغوية المطبقة من طرف الاستعمار.
- أدركت فرنسا أنها ستحتل الجزائر حقيقة وبصفة إجمالية عندما تتوصل إلى القضاء على الهوية الجزائرية، ونشر ثقافتها ولغتها في أوساط الجزائريين.
- السّياسة اللغوية الفرنسية التي انتهجتها في الجزائر تهدف إلى منع اللغة العربية في الواقع اللغوي الجزائري، ومن ثمّ القضاء على الشخصية الجزائرية.
- حاولت فرنسا تطبيق السياسة اللغوية في الجزائر كذلك على مجالات مختلفة وعديدة كالتعليم، والإعلام، والإدارة...الخ وكلها مجالات أساسية ومهمة للفرد الجزائري، فيها تم استعمال اللغة الفرنسية، والتي أدت إلى طمس اللغة العربية وموتها، ومن ثم تكثيف انتشار الثقافة الفرنسية داخل المجتمع الجزائري.
- لم تمس السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر اللغة العربية فحسب بل شملت كذلك الدين والثقافة وذلك من أجل القضاء على الشخصية الجزائرية وانغماس الشعب الجزائري في الديانة المسيحية.

- ظهرت فئات وجمعيات عديدة من أجل مواجهة هذه السياسة الفرنسية القمعية والأوضاع المزرية، من بينها نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ظهرت كاستجابة للسياسة اللغوية الفرنسية وحاولت الحفاظ على اللغة العربية والشخصية الجزائرية .

- اعتمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مجموعة من الوسائل النّضالية من أجل تحقيق أهدافها منها: المدارس، المساجد، الصحافة، النوادي، الجمعيات الثقافية...الخ.

8- مصادر البحث ومراجعه:

[1]- عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، مكتبة الشعب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (1981)، ص8.

[2] -Marie- Louise Moreau,(1997), Sociolinguistique -Concepts de base-, Pierre Mardaga, édition, Belgique, p 229

[3]- لويس جون كالفي، (2008)، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: جسن حمزة، ط1، بيت النهضة، بيروت، ص396-397.

[4]- لويس جون كالفي، (2009)، السياسات اللغوية، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص10-11.

[5]- إلياس بلكا، محمد حراز، (2014)، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، المغرب أنموذجًا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ط1، دولة الإمارات، ص 82.

[6]- د. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، (1975)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ط)، الجزائر، ص190.

[7]- إلياس بلكا، محمد حراز، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، المغرب أنموذجًا، ص83.

[8]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص399.

[9]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص399.

[10]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص403.

[11]- د.محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث،(2001)، دار الغريب للنشر والتوزيع، (د.ط)، القاهرة، ص43.44.

[12]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعاتها، مفاهمها،(2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ص12 .

[13]- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص44 .

[14]- محمد محمد داود، اللغة والهوية، أنا، والآخر، والسيادة الوطنية، دار المنار للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص 13.

[15]- بسام بركة وأخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي- إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح-،(2013)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، ص81.

[16]- محمد محمد داود، اللغة والهوية، أنا، والآخر، ص 14.
[17]- بسام بركة وأخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي- إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح-، (د.ط)، (2013)، ص312.
[18]- بسام بركة وأخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي- إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح-، ص313.
[19]- بسام بركة وأخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي- إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح-، ص82.
[20]- بسام بركة وأخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي- إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح-، ص 82.
[21]- فلوريال كولماس، دليل السوسيولسانيات، تر: د خالد الأشهب وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، (2009) ، ص683.
[22]- أحمد النعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، (2008)، دار الأمة، ط1، الجزائر، ص 38.
[23]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص91.
[24]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائر والمسألة اللغوية، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، (2007)، دار الحكمة، ط2، الجزائر، ص28.
[25]- أحمد النعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، ص95.
[26]- محمد محمد داود، اللغة والهوية، أنا، والآخر، والسيادة الوطنية، ص 51.
[27]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص 189.188.
[28]- أحمد النعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، ص101.
[29]- أحمد النعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، ص179.
[30]- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص332.
[31]- تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص.109
[32]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص192.191.
[33]- مصطفى زايد، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر 1962- 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، (د.ت)، ص104
[34]- تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص106
[35]- عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، ص15.
[36]- عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، ص16.
[37]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص201.
[38]- عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، ص24.
[39]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائر والمسألة اللغوية، ص30.
[40]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص203.
[41]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص204.
[42]-Louis, Jean Calvet, Linguistique et colonialisme -Petit traité de glottophagie-,France,(1988), p 82.

[43]- رمضان عبد التّواب، التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس. السّنة 2001 ، مجلة المجمع، ص109.

[44]- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرّائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، (1999)، دار الأمّة للطباعة والنّشر والتوزيع، (د ط)، الجزائر ، ص15.

[45]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، ص88.

[46]- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ — 2000، ج3، ص25.

[47]- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص263.

[48]- حماني، أحمد بن مسعود، محاضرات ومقالات الشيخ العلامة أحمد حماني، ج4، ص362.

[49]- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، (1981)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، ص79.

[50]- مبروك سعدي، أهمية الصحافة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، موقع العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، على الرابط: HTTPS://BINBADIS.NET/ARCHIVES/444

[51]- رابح، تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، 1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة،(2004)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص 97.

[52]- إبراهيمي، محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (1997)، دار الغرب الإسلامي، ص ص 26-27.

[53]- خطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر(1985)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 229.

[54]- عمر النشيواتي، جمعية العلماء المسلمين دروس في الفكر والحركة، (2021)، مجلة رواء، العدد 8، ص 58.